﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

بتاريخ [١٠-٣-٢٠١٧]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ (١١١)﴾ [الإسراء: ١١١]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ (١)﴾ [التغابن: ١]. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. يُعز ويذل، ويكرم ويهين، ويخفض ويرفع، ويضحك ويبكي، ويُغني ويقني، ويبتلي ويعافي، الأمر أمره، والخلق خلقه، وهو ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧)﴾ [هود: ١٠٧]. لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، فلا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله رسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، فبلغ الرسالة حق البلاغ، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته، ورسولًا عن دعوته ورسالته.

وبعد...

أيها الإخوة، وبين يدي الخطبة أُذكر بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)﴾ [التوبة: ١٨]. وبالحديث المتواتر عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي ورد عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن أكثر من خمسين من الصحابة، أنه قال: «من بنى لله مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له به بيتًا في الجنة». فيا هنيئًا لمن وفق إلى عمارة بيوت الله، يا هنيئًا له من وسع الله عليه وبنى لله مسجدًا، يجتمع فيه أهل الصلاح إذ الله يقول: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)﴾ [النور:٣٦- ٣٨]. يا هنيئًا له

من يسر على الناس أمر عبادتهم، فقد سلك سبيل المرسلين، فهو الخليل إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يأمره ربه بقوله له ولإسماعيل -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)﴾ [البقرة: ١٢٥].

إن رسولكم محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أول ما قدم المدينة، ماذا صنع؟ وقبل أن يبني لنفسه بيتًا بنى المسجد النبوي، وقال: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم». أي: قولوا بكم تريدون أن تبيعوا أرضكم حتى أُنشئ عليها مسجد، قالوا ووفقهم الله لهذه المقولة، التي يجنون ثمارها إلى الأن، وهم في قبورهم، قالوا: «لا نطلب ثمنه إلا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-». فتطوعوا بأرض المسجد النبوي، تطوعوا بها ولم يأخذوا لها مقابلًا من البشر، إنما أرادوا ثمنها من الله -عَزَّ وَجَلَّ- فبُني مسجد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأوديت الرسالة من خلاله أحسن الأداء، وبُلغت أحسن البلاغ، فوجود مسجدٍ في بلدةٍ يجتمع فيه أهل الصلاح منارة خيرٍ لهذه البلدة، وإذا كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال في شأن البيوت: «مثل البيت الذي يُذكر الله فيه، والذي لا يذكر مثل الحي والميت». فكذلك القرية التي بها مسجدٌ يشيع علمًا، يشيع نورًا، يبث كتاب الله وسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لهداية البشر، ولتعليمهم مراد الله ومراد رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بلدةٌ فيها هكذا، ليست كبلدة خلوٍ من هذا بلا شكٍ، وبلا ريب، فالحمد لله إذ وفقتم لبناء هذا المسجد، وجزى الله من بناه خير الجزاء، وأنار له قبره ووسع له فيه، وأعاننا وإياكم جميعًا على أعمال البر والطاعات، ولا حرمنا الله وإياكم الأجر والثواب.

أيها الإخوة، إن المساجد لها رسالةٌ بينها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذ قال: «إنما بنيت لذكر الله، وإقام الصلاة وتلاوة القرآن». هذه رسالتها السامية بالدرجة الأولى، ولذلك فإن لما أُمرنا بالذهاب إلى الجمعة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ (٩)﴾ [الجمعة: ٩]. لا لذكر فلانٍ، ولا لذكر فلان، إنما ﴿إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩)﴾ [الجمعة: ٩].

فاسم الله يعلو في المساجد، ولا يعلو فيها اسم أحدٍ سواه، فمن مقاصدنا كمسلمين أن يعلو اسم الله فوق كل شيء، وأن يقدم حكم الله فوق كل حكم، وأن يُجتنب كل نهيٍ نهى الله عنه، ونهى عنه رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- ألا فلترجع إلى المساجد هيبتها، ووقارها امتثالًا لأمر الله، إذ أذن وأمر أن ترفع ويذكر فيها اسمه، أن تعظم وأن تُشرف، وأن تكرم، ثم إن المساجد وقد ذكرت أجل المقاصد منها، ذكر الله والصلاة وتلاوة القرآن، لا يمنع أيضًا أن تبث منها الخيرات.

فالإصلاح بين الناس كان في المساجد أيضًا، على عهد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأحيانًا التقاضي كان في المسجد كذلك، وكان الفقراء من المسلمين، أهل الصُفة، في مسجد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكانت مشاكل المسلمين تُحل فيه، وحِلق الذكر والقرآن والتعليم تكون في المسجد، ومن المساجد تنطلق، ولقد قال الرسول الأمين: «ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». ولذا جاءت النصوص تحث، وتُرغب في الإكثار من الخُطى إلى المساجد، والمكث فيها، فبلا ريبٍ أن المكث في المسجد ليس كالمكث في الملعب، وليس كالمكث في الطرقات، كما يفعله المتسكعون في الطرقات، إن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «من غدا إلى المسجد، أو راح أعد الله له نزلًا في الجنة كلما غدا أو راح».

أي: إكرامًا ومكانًا لإكرامه في الجنة، كلما غدا أو راح، إن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر في السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله قال: «ورجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجد». ليس قلبه معلق بامرأة، وليس بمعلق بـ ماتش كرة ولا بملعب، ولا بتلفزيون، ولا بمسلسل، ولا بفتاةٍ، إنما رجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجد، هذا من الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، إن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول لأصحابه: «إلا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الله به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء

على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط».

فلذا كان المذنب من الصالحين، كان إذا أذنب يُكثر المشي إلى المسجد، يذهب إلى المسجد بعد أن يتوضأ كي يُغفر له ذنبه، كي تستر عنه سيئته، فعلينا ببيوت الله، خطوةٌ ترتفع بها درجة، والأخرى تُحط بها عنك خطيئة الخيرات، والبُشارات تتنزل وتتأتى في بيوت الله، إن زكريا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى (٣٩)﴾ [آل عمران: ٣٩]. إن مريم -عَلَيْهِا السَّلَامُ- كان ﴿ زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾ [آل عمران: ٣٧]. فكونوا -بارك الله فيكم-، من عُمار المساجد والذاهبين إليها الحين بعد الحين، وحينما يُنادى المنادى للصلوات، إن بني سلمة كانت ديارهم بعيدة عن المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا بجوار مسجد الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فقال لهم الرسول إذ كانت بيوتهم تَحمي المدينة من بعض الجوانب: «يا بني سلمة، دياركم تُكتب أثاركم». أي: الزموا دياركم تكتب أثاركم، أثار الخُطى إلى المساجد، تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)﴾ [يس: ١٢]. قيل: آثار خطاهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

وكان رجلٌ من أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيته بعيدًا عن المسجد، ولم تكن عنده سعة، لشراء دابةٍ فكان كثيرًا ما يمشي، فقيل له لو اشتريت حمارًا، أو بغلًا يحملك إلى المسجد، قال: إني أحب أن يكتب الله لي أثار خُطاي إلى المسجد، فأخبر النبي بذلك، فقال لك ما نويت أجمع أو كما قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فكونوا من عمار المساجد، انتظاركم للصلاة في صحائف عملكم، إذ النبي قال: «والمرء في صلاة ما انتظر الصلاة». بقائكم شيئًا ما بعد الصلاة في المسجد، كذلك في سجل حسناتكم،

والملائكة تُصلي على أحدكم، ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، تقول: «اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما لَمْ يُؤْذِ ما لم يُحدث». فيا هنيئًا لمن وفق إلى عمارة الله ببدنه بعد عمرانها بماله، هنيئًا لمن وفق لعمارة بيوت الله، ببدنه بعد ماله، «إن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سئل عن امرأة كانت تقم المسجد، امرأة سوداء كانت تجمع القمامة من المسجد، كان النبي يتفقد أحوالها، افتقدها النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فسأل عنها أين فلانة؟ قالوا: ماتت، ودفناها ليلًا كرهنا أن نوقظك يا رسول الله، قال: دلوني على قبرها، فدلوه على قبرها، فذهب إلى قبرها فصلى عليها». -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- ومن ثَمَّ أخذ العلماء من هذه القصة فقهًا: أن من فاتته الصلاة على ميت مع الناس، جازَ أن يصلي عند القبر بعد فوات الأوان منه.

هذا ولا يخفى عليكم الوارد في فضل الجماعة، فشهودكم الجماعة فيه خيرٌ قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «صلاة المرء في جماعة، تفضل صلاته وحده بسبع وعشرين درجة». وفي رواية: «بخمسٍ وعشرين». وفي رواية: «بثلاثٍ وعشرين». وفي رواية: «بواحد وعشرين». وكل ذلك مبنيٌ على حسن الصلاة، وحسن الصفوف، وحسن الوضوء، وحسن الخلق مع المصلين، فيا هنيئًا له من وفق لهذه الغنيمة، غنيمة الصلاة في جماعة، وقد قال تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)﴾ [البقرة: ٤٣]. قد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «من صلى العشاء في جماعةٍ فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعةٍ فكأنما قام الليل كله». فاحرصوا على الخيرات -بارك الله فيكم-، فصحابة نبيكم كانوا أحرص الناس على الخير، وكانوا يعدون المتخلف عن صلاة الفجر وعن الجماعة، منافقًا معلوم النفاق، إن النبي هم أن يتخلف عن الصلاة ؛ كي يذهب إلى قوم لم يشهدوا الجماعة فيحرق عليهم بيوتهم، -فبارك الله فيكم- كونوا من عمار المساجد، كونوا من الماكثين فيها، يُكتب هذا المجلس في صحائفكم، وقد يهتدي بسببك رجلٌ ضعيف الإيمان يخشى من الناس من الذهاب إلى المساجد ويستحي، فإذا رآك في

المسجد تستقبله بحفاوةٍ كنت عوضًا له عن أصدقائه الأشرار، فكم من شابٍ يريد الانسلاخ عن صحبة السوء، ولا يجد بدائل، فإذا وجد أهل الصلاح من زملائه، ومن هم أكبر منه وأصغر في بيت الله، أقبل بقلبه إلى بيت الله وببدنه، يجد العِوض، يجد الخلق الكريم، يجد البشاشة ويصلي مع المصلين، فبارك الله فيكم، احرصوا على عمارة المساجد بأبدانكم، وبأموالكم وكما سلف، فسالك هذا السبيل، سلفه الصالح إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وإسماعيل فقد عهد الله إليهما، أن يطهرا البيت ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)﴾ [البقرة: ١٢٥]. يطهراه من القاذورات والدنس، ومن الوثنيات والشركيات، ومن البدع والخرافات، ومن غير ذلك مما لا يليق بالمساجد.

وبعد أيها الإخوة، عن موضوع الخطبة وبإيجازٍ واختصار، قومٌ الآن يقيمون عيدًا للأم، ولا يخفى عليكم ابتداءً أن الأعياد شرعها الله، ولم يشرعها البشر، شرعها الله، إذ قال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ (٦٧)﴾ [الحج: ٦٧]. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ (٣٤)﴾ [الحج: ٣٤]. فالذي جعل المناسك هو الله، وقد قال الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لما قدم الصحابة المدينة ووجدوا اليهود يلعبون سأل النبي ما هذا؟ قالوا: هذا يوم عيدٍ لليهود يا رسول الله، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: إن الله أبدلكم خيرًا منه الفطر والأضحى». فليس في ديننا إلا عيدان، الفطر والأضحى، وثم عيدٌ باعتبارٍ، ثالثٌ وهو يوم الجمعة، لعوده وتكراره، ما وراء ذلك فليس لنا أعياد، ليس لنا عيد نصرٍ يوم بدر، ولا عيد نصرٍ يوم الأحزاب، ولا يوم حنين، ولا عيد لنزول القرآن على النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ولا عيدٌ للهجرة ولا غير ذلك، ولا عيد للميلاد ولا غير ذلك، فانتبهوا لدينكم، ومع ذلك فإن الوصايا في الكتاب العزيز، وفي السنة المباركة الصحيحة بالوالدين، جاءت مطلقة وعامة ليست مقيدةً بيوم من الأيام، إنما على الدوام نُحسن إلى الوالدين، ونبرهما على الدوام، طول عمرنا؛ بل وبعد وفاتهما نُحسن إليهما، ودل على ذلك من النصوص ما يلي، إذ نحن في حاجةٍ إلى هذا إلى

التذكير بشيء من حق الوالدين، فتلك دواوين ستسأل عنها يوم القيامة، كما أنك تسأل عن صلاتك، وعن صيامك، وعن حجك وزكواتك، ستسأل عن موقفك مع والديك، ستسأل حتمًا عن ذلك، ومن ثَمَّ فقد اقترن حق الوالدين بحق الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- في عدة مواطن بعد حق الله، اعني بعد حق الله، يتأتى حق الوالدين: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٣٦)﴾ [النساء: ٣٦]. ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (١٥١)﴾ [الأنعام: ١٥١]. ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٢٣)﴾ [الإسراء: ٢٣]. ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا (١٥)﴾ [الأحقاف: ١٥]. بعد النهي عن الشرك بالله، وهكذا تتوالى النصوص.

وعن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يا رسول الله، يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: الشرك بالله، قيل: ثم أي؟. قال: عقوق الوالدين. قيل: ثم أي؟. قال: ألا وقول الزور، ألا وقول الزور، وما زال يكررها حتى قال الصحابة ليته سكت». وفي المقابل: «أي العمل أفضل يا رسول الله؟ قال: الصلاة لوقتها، ثم أي؟ ثم بر الوالدين، ثم أي؟ ثم الجهاد في سبيل الله». فقُدم بر الوالدين على الجهاد، ومحله إذا كان الجهاد فرضًا على الكفاية، فبر الوالدين مقدمٌ عليه، «وجاء شابٌ إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول له: «يا رسول الله جئت أريد الجهاد معك، ابتغي الأجر من الله، أريد الجهاد في سبيل الله». مع من؟ مع رسول الله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «ابتغي الأجر من الله يا رسول الله، قال: أحي والداك؟ قال: نعم، قال كيف تركتهما؟ قال: تركتهما يبكيان، قال ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما». وفي روايةٍ: «ففيهما فجاهد».

إن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَكر وذَكر بخطورة دعوة الوالد على ولده، والوالدة على ابنها، ذكر بذلك في قصة جريج العابد، كان رجلًا عابدًا من بني إسرائيل، صالحًا يُتمثل بعبادته، فقال الناس من بني إسرائيل، وذكروا عبادة جريج: ما في الناس أعبد من جريج، الشاهد: أن جريجًا هذا كان في صومعته فأتته أمه تناديه، وكان يصلي، فاحتار في

الصلاة ماذا أصنع؟ فقال في صلاته يا رب أمي، أي أمي تناديني، وصلاتي أي: التي دخلت فيها، فكررت أمه النداء يا جريج، قال: يا ربِ أمي وصلاتي، كررت النداء يا جريج، قال: يا ربِ أمي وصلاتي، فانصرفت المرأة، انصرفت ولكنها دعت عليه، دعت عليه فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، أي: كما أنه لم ينظر إلى وجهي، ولم يرد عليَ فلا يموت، حتى يرى وجوه المومسات، وكانت ثم امرأةٌ في بني إسرائيل يتمثل بحسنها وجمالها، وجلس الإسرائيليون مجلسًا يتذاكرون فيه عبادة جريج، قالوا: ما منا من أحدٍ أحسن عبادة من جريج، وكل يتمثل به، فقالت المرأة إن شئتم لأفتننه، قالوا لا أفعلي، فتزينت وذهبت تناديه يا جريج، يا جريج، فماذا قال؟ أعرض جريجٌ عنها، فذهبت فمكنت راعيًا من نفسها، فوقع عليها، وحملت وولدت، فجاءت إلى قومها سألوها مِن، مَن هذا الولد؟ قالت: من جريج، فذهبوا إليه واستزلوه من الصومعة وضربوه، وأهانوه أشد الإهانة، تدعي أنك عابد وبك، وبك وهدموا له صومعته -عِيَاذًا بِاللهِ- فجريج؛ لأنه كان مجتهدًا في الباب، كان محتارًا لم يكن عاقًا عن عمدٍ، قال: ائتوني بالغلام، أتوا بالغلام، فقال له: يا بابوس من أبوك؟ قال: أبي هو الراعي، قالوا له: إذن نبني صومعتك من ذهب وأقبلوا عليه يقبلونه.

الشاهد: أن دعوة أمه استجيبت فيه، وما نجا إلا لكونه كان يصلي وكان مجتهدًا متحيرًا، ماذا يصنع؟ فيا ويله من يَعق والديه، «إن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أثنى على أويسٍ القرني، وهو شاب من قرن بلاد باليمن، أثنى عليه فقال: خير التابعين، رجل من قرن يقال له: أويس، كان بارًا بأمه». قال العلماء: بره بأمه منعه الهجرة إلى رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كان بارًا بأمه فكان به برص، فبسبب بره بأمه، دعا الله فشفاه من هذا البرص، فقال العلماء: الأمراض المستعصية على البشر لا تستعصي على الله -سُبْحَانه- ولكنها، أي: الدعوات إذا أُردفت بالأعمال الصالحة، فهي أدعى للقبول، وأحرى بالقبول، فلبره بأمه سأل الله أن يُذهب عنه هذا البرص، فأذهب الله عنه البرص، لا بسبب طبيبٍ

عالجه أبدًا، إنما بدعوة صالحةٍ مصحوبة ببر للأم، فأذهب الله عنه البرص، إلا موضع إصبع في بطنه، لقد وصى الرسول الصحابة به؛ بل بطلب الاستغفار منه، «فقال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لأصحابه خير التابعين، رجلٌ من قرن، يقال له: أويس كان به برص، فدعا الله فشفاه، كان بارًا بأمه من لقيه منكم فليسأله أن يستغفر له، حافظ المقولة عمر، فكان يسأل أمداد أهل اليمن الذين قدموا للحج، أو للجهاد في سبيل الله، هل فيكم من رجل يقال له أويس؟ يتعجبون من سؤال عمر عن أويس، فليس أويس بذلك الرجل المشهور المعلوم لدى الناس، ففي عام قالوا: نعم، فاستقبله عمر واحتفى به، فقال: أنت أويس؟ قال: نعم، قال كانت لك أمٌ أنت بها بار؟ قال: أحسب نفسي كذلك، لا أزكي نفسي على الله، أو كما قال، قال: كان بك برص فدعوت الله فشفاك، إلا موضع إصبع؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، وأراه إياه، قال: استغفر لي يا أويس، عمر يطلب من أويس، أن يستغفر له، قال: أويس المتواضع، بل أنت صاحب رسول الله، ولك من الفضائل ما لك، لك، استغفر لي أنت يا أمير المؤمنين، فأصر عمر عليه أن يستغفر له، فاستغفر له أويس، هذه المنزلة السامية، بسبب بره بأمه، إن عمر قال له: إلى أين تذهب؟ قال: إلى الشام يا أمير المؤمنين، قال أكتب معك رسالة، أي: رسالة توصية إلى أميرها». يعني كي يكرمك، «قال: لا يا أمير المؤمنين أكون رجلًا في غبراء الناس». يعني: أكون شأني شأن سائر الناس، «أكون رجلًا في غبراء الناس، وسافر ورجع إلى بلده، فجاء شيخ القبيلة، قبيلته بعد ذلك يحج، سأله عمر عن أويس، أخبر الرجل عمر بأويس وأمره، فطلب منه أن يبلغه السلام، وحكى له حديث الرسول، فرجع الرجل إلى أويس يقول متعجبًا: استغفر لي يا أويس، فتفطن أويس وقال: هل لقيت أمير المؤمنين عمر؟ قال: نعم فاستغفر له، وخشي أويسٌ أن ينتشر خبره في الناس، فترك البلاد ولم يره أحد حتى لحق بالله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-». كل هذه المنزلة، بسبب بره بأمه، -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-.

إن رسول الله ذكر رجلًا وامرأةً، أكرم الله ولدهما بسبب إكرامِهِ لهما، وذلك في حديث الثلاثة الذين انطبقت على فم غارهم صخرة، وقام الرجل يتوسل قائلًا: «اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، كنت لا أغبق غبوقًا إلا أتيتهما يشربَ قبل أولادي، ونأى بيا الطلب ذات يوم فتأخرت وقد ناما، فأتيت باللبن ووقفت على الباب، كرهت أن أوقظهما، وكرهت أن يشرب أبنائي قبلهما، حتى طلع عليَ الفجر، وأنا واقف باللبن أمام الباب، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك لوجهك، ففرج عنا ما نحن فيه». ففرج عنهم ما هم فيه.

أيها الإخوة، إن النصوص تتوالى في الحث على إكرام الوالدين، إن الله قال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (٢٤)﴾ [الإسراء:٢٣- ٢٤]. وإن كانت النصوص توالت بذلك، فالأم لها النصيب الأكبر، النصيب الأوفر من هذا البرِ، «فإن الرسول سُئل من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله؟ قال: أمك. قيل: ثم من؟. قال: أمك. قيل: ثم من؟. قال: أمك، قيل: ثم من؟. قال: ثم أبوك». في المرتبة الرابعة، إن النبي قال: «إنَّ اللهَ حَرَّمَ علَيْكُم ووَأْدَ البَناتِ، ومَنْعًا وهاتِ، عُقُوقَ الأُمَّهاتِ». فالأم لها النصيب الأكبر من البر، هكذا تُكرم الأم في ديننا، ليس كما يفعله أهل الكفر في أمريكا وأوروبا، الولد يجد أباه مسلسلًا والشرطي يقوده، لماذا أنت تقاد من الشرطي؟ يقول: لم أسدد فاتورة التليفون يا أبي، إذن سددها الشهر المقبل في محلها ويتركه وينصرف، كأنه ليست بينه وبين أبيه أية علاقة على الإطلاق، هكذا أهل الكفر، فمن ثم يقيمون يومًا في العام للاحتفاء بالوالد أو بالوالدة، ويتركونهما سائر الأعوام، يقذفون بهما في مستشفيات المسنين، تخلصًا منهما، يبعدونهما عن البيت رغبة عنهما وإهمالًا لهما، ولا ينسى أحد هؤلاء الأمريكان، أو الأوروبيين، أن الوالدين ربيًا الولد في المهد وقام على رعايته، وكان يريدان له كل خيرٍ، إذا مرض دارَ به عند الأطباء،

أما هم في كبر سن الوالدين، يقذفون بهما إلى دور المسنين، حيث لا بر، ولا حنو من عاملٍ في خدمتهما، بل الكل يريد لهما عند الكبر الموت، «إن الرسول قال لما صعد المنبر ثلاث درجات قال في الدرجة الأولى: رغم أنف رجلٍ أدرك أبويه عند الكبر، أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قولوا آمين، قال الصحابة: آمين».

أيها الإخوة، إن منزلة الأم عندنا عظيمة، ومنزلة الأب عندنا عظيمة كذلك، ولا يخفى عليكم أن النبي أوصى بهما بعد الممات أيضًا، وسلك سائر الأنبياء الدعاء لهما بعد الممات، نوحٌ يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)﴾ [نوح: ٢٨]. فليغنم منكم الوالدان بعد مماتهما، دعوة صالحةً ﴿رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (٢٤)﴾ [الإسراء: ٢٤]. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)﴾ [إبراهيم: ٤١]. ليرى منكم الوالدان استغفارًا، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إن الرجل ترفع درجته يوم القيامة، فيقول: يا رب أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك». فاستغفاركم لآبائكم سببٌ في رفعة درجتهما عند الله -سُبْحَانه-.

إن النبي قال: «إن من أبر البر، أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد موته». فإذا كان أبوك يصل قومًا فمات أبوك، فاستمر على الوصل، واستمر على العطاء، انظر إلى الفقراء الذين كان أبوك يكرمهم فأكرمهم، أنظر إلى الأقرباء كذلك، الذي كان أبوك يصلهم فصلهم، فإن حسن العهد من الإيمان، إذا كان أبوك قد مات أو امك، وعليهما صيام، فالنبي يقول: «من مات وعليه صوم صام عنه وليه، إذا كان عليهما نذر فأدى النذر عنهما، إذا لم يعتمرَ أو يحج حج عنهما، واستغفر لهما». وإن كان عندك مزيد من المال، لا مانع أن تتطوع لهما أيضًا، بحجٍ أو بعمرةٍ، الموفق من وفقه الله.

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

فلنكثر من الدعاء لمن تبرعت بأرض هذا المسجد ولمن بناه، نسأل الله أن يرحمهما وأن يكتب لهما مزيدًا من الأجر والثواب، ونسأله العون على البذل والعطاء في سبيله، وعلى البذل والعطاء في أبواب الخير عمومًا، وفي المساجد أيضًا، -اللهم آمين-.

إخواني بارك الله فيكم، لا تحرموا أنفسكم من التبرع ولو باليسير لإتمام هذا الصرح الطيب الذي بدأه من توفاه الله، نسأل الله أن ينور له قبره وأن يفسح له فيه، وكما قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (٧)﴾ [الزلزلة: ٧]. وكانت عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُا- إذا جاءها الذي يسأل الصدقة، تدخل تبحث إن لم تجد إلا شق تمرة أخرجته، وهذا منها امتثال لأمر النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وتأولًا للآية الكريمة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه﴾. ولقد قال الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمةٍ طيبة». فنسأل الله أن يعيننا وإياكم على البذل وعلى العطاء دائمًا وأبدًا، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المحسنين اللهم آمين، فلا نُعان إلا إذا أعاننا الله، ولقد قال الله -تعالى-: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)﴾ [التغابن: ١٦].

أيها الإخوة، بارك الله فيكم وحفظكم وسددكم، عليكم أن تتعاونوا جميعًا على البر والتقوى، وأن تنصرفوا عن الاختلافات التي تدُب بين البشر، فقد أوجب الله على المسلمين التآخي ووجب عليهم أن يتوحدوا ويكونوا صفًا واحدًا، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف، تذكيرًا لأهل الفضل والصلاح أن يبتعدوا وينصرفوا عن الاختلافات، وعن التفرق إن الله قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا (١٠٣)﴾ [آل عمران: ١٠٣]. إن الله قال: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾ [آل عمران: ١٠٥]. إن ربنا قال: ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا

مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ (١١٩)﴾ [هود:١١٨- ١١٩]. فالذين رحمهم الله يبتعدون عن الاختلافات، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، فالذين رحمهم الله يبتعدون عن الاختلافات، «إن النبي خرج على الصحابة ذات يومٍ، وهم يتجادلون في بعض أهل الكتاب العزيز، هذا يقول قولًا في الآية، وذاك يقول قولًا فقال الرسول مغضبًا قال: ألهذا خلقتم؟ أم بهذا أمرتم؟ خرج وكأن حب الرمان يتفقه في وجهه، ألهذا خلقتم؟ أم بهذا أمرتم؟ لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، ألا تكونون إلى مثلِ هذا الرجل الصالح؟ وأشار بيده إلى عبدالله بن عمرو بن العاص، وكان معتزلًا لهذه الاختلافات». وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه». فلا ينبغي أن نختلف فإن الاختلافات تذهب بالخيرات، «إن النبي خرج يخبر الصحابة بليلة القدرِ فتلاحى رجلان فرفع العلم بها». «إن النبي كان في مرضه كما قال ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ وبكى، وأبكى من حوله، ثم طفق يذكر قائلًا: نزل بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المرض واشتد، فقال لأصحابه الذين حوله: هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا، ائتوني أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا، فاختلف الصحابة، فمن قائلٍ قربوا لرسول الله يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا، ومن قائلٍ يرفض ذلك، إن النبي في مرض موته ومرض الموت يحمله على أن يقول أشياء، فلما رأى النبي اختلافهم، قال قوموا عني وأخرجهم من بيته، قوموا عني فوالله للذي أنا فيه خيرٌ مما أنتم فيه». الذي أنا فيه هو في استعداد للرفيق الأعلى، الذي أنا فيه خيرٌ مما أنتم فيه، فكان ابن عباس يقول: «إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبين أن يكتب لأصحابه هذا الكتاب».

إن الخيرات ترتفع عن الناس بسبب الاختلافات، فكونوا على قلب رجل واحدٍ تُكرموا، يكرمكم الله بحبكم الخير لإخوانكم، ورسولكم يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى

يحب لأخيه ما يحب لنفسه». نسأل الله أن يطهر قلوبنا جميعًا، بالماء والثلج والبرد، وأن يقذف فيها محبة الله ومحبة رسوله، ومحبة أهل الإيمان، -اللهم آمين-.

اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفذ، ومرافقة نبيك محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعلى جنة الخلد، اللهم هب المسيئين من أهل هذه البلدة للمحسنين، اللهم اصلح شباب هذه البلدة وفتياتها، وشيوخها يا رب وعجائزها، وصغارها وكبارها يا رب العالمين، اللهم ألف بين قلوبهم وأهدهم سبل السلام، وكذا عموم المسلمين يا رب العالمين، اللهم يا ربنا زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين، اللهم يا ربنا زودنا بزاد التقوى، وألبسنا لباس التقوى، واحشرنا في الفردوس مع المنعم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وارحم والدينا كما ربينا صغرًا، وتجاوز عن سيئاتنا وعن تقصيرنا، في حقوقهما يا رب العالمين، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، واقضِ الدين عنا وعن المدينين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، صلوا على البشير النذير وسلموا تسليمًا.

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=tMU٠XvmNWj٤&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٢٩

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share